الفصل الثالث

نظريات الاتصـال

- ما بين نظريات الاتصال مقدمة
- نظرية الاستعمار الإليكتروني
- نظرية النظام العالمي
- نظرية السلطة
- نظرية الحـرية
- نظرية الاستعمالات وتلبية الاحتياجات
- نظرية التعليم من خلال الملاحظة
- نظرية المسئولية الاجتماعية

obeikandl.com

obeikandl.com

ما بين نظريات الاتصال :

كيف خلق الإنسان من طين؟

ذلك أن الله جل جلاله نفخ في الطين أنفاس الحب.

بهذه الكلمات البسيطة الجميلة التي تتحدث عن صورة من صور الأشكال الإنساني الذي تنطوي عليه عملية التواصل بين الذوات يحدثنا (جلال الدين الرومي) عن "الحب" ولعل هذا ما حدا بالفيلسوف الألماني "هيجل" إلى إيراد أبيات الشاعر الفارسي العظيم في ختام حديثه عن "الفلسفة" في الفصل الأخير من كتابه الموسوعة باسم "موسوعة العلوم الفلسفية".

فالحب إذن خير مثل نمثل به لماهية "الاتصال" في سياق الحديث عن نظرية الإعلام، أو نظريات الاتصال التي يتلاقى فيها المرسل والمستقبل من خلال وسيلة ورسالة ذلك أن الحي يتجه بطبيعته نحو "الآخر" وينشد دائماً كائناً، لأن هذا التغاير نفسه هو الشرط الأساسي لقيام تلك العلاقة الشخصية الثانية، ولقيام تلك النظرية الإعلامية نظرية الاتصال(١).

بعد ذلك لابد من طرح سؤال هام جدا لماذا كان للإعلام مذاهب ونظريات؟

من البديهي أن يكون لكل زمان ومكان نوع من الإعلام الذي يليق به ويلائم ظروفه ويحقق أغراضه ويتمشى مع الأفكار التي تعيش معه، ومن هنا كان الإعلام في انجلترا غيره في أمريكا في روسيا السوفيتية غيره في الجمهورية العربية المتحدة ثم من هنا كان الإعلام الإسلامي في عصر صاحب الرسالة غيره في عصر بني أمية غيره

---

(١) Hegal Precis de l'hncye lopedie des sciences philosophiques: trad France par Cibelin 1952, Urin p. 312 (Trad allemande Parll Ruckart).

في العصر العباسي غيره في العصر الفاطمي غيره في عصر صلاح الدين غيره في العصر الذي نعيش فيه.

وقد جرى الإعلام في كل بلد من البلاد الإسلامية أو الأوربية في المجرى الذي اختاره الحكام لهذا البلد أو ذاك والسبب في ذلك أن العصور القديمة لم تكن تعرف من أنواع الحكم في الحقيقة غير الحكم المطلق وذلك باستثناء اليونان في عصر الجمهورية وعصر الخلفاء الراشدين في الإسلام بعد عصر النبوة، فإن لهذين العصرين في الديمقراطية تاريخا معروفا وبقى الحال على ذلك حتى نمت هذه الديمقراطية نموها الطبيعي في الشرق وفي الغرب ودخل العالم في عصر جديد يسمى (عصر الشعوب)، ويومئذ جرى الإعلام عند أمم العالم كله في طريق آخر غير الطريق الذي أشرنا غليه من قبل.

وفي العصور الحديثة بل في هذا القرن الذي نعيش فيه وجدنا المفكرين في كل بلد من بلاد العالم المتحضر يفلسفون الطريقة التي يتبعها الإعلام ويحاولون أن يضعوا هذه الطرق في إطارات إنسانية تتسع عندهم شيئا فشيئا حتى تشمل تاريخ الفكر البشري كله وتفسر تفسيرا يتفق وهذه الطرق التي اتبعتها هذه البلاد.

إذ ذاك فقط بدأ ظهور مدارس الإعلام وتعددت هذه المدارس بتعدد الشعوب المتحضرة أو الشعوب التي قطعت شوطا بعيد المدى.

- فهناك المدرسة الأمريكية التي يعبر عنها "دافيد هوايتي".
- المدرسة الإنجليزية التي يعبر عنها الأستاذ "بلانت".
- المدرسة الفرنسية التي يعبر عنها ويشرح آرائها (ليونيه).
- المدرسة الإيطالية ويتولى التعبير عنها "فورتللو".

- المدرسة التشيكية التي يرأسها "شتاك".
- المدرسة البولندية والإسبانية.
- وهناك المدرسة الألمانية والتي يوجد بها أكثر من مدرسة ويتولى التعبير عنها الأستاذ "أو توجهات".
- ولا يجوز لنا أن ننسى المدرسة السوفيتية للإعلام.

هناك نظريات عديدة للاتصال تخضع لهذه المدارس وضرورة النظر إلى الفلسفات التي تكمن وراء كل نظرية من النظريات(١).

نظرية الاستعمار الإليكتروني:

Electronic Colonialism Theory

اعتاد الباحثون الإعلاميون اختيار بعض القضايا الهامة الدقيقة للدراسة مثل ترتيب الأولويات أو الملكية أو الضعف وتحديدا في وسيلة إعلام واحدة، لكن وفي حالات خاصة يركز الباحثون على جوانب وقضايا عامة في نظام إعلامي بعينه ومن رمز هذه المدرسة من الباحثين مارشال ماكلوهان وهارولد إنز Harold Inns وجيرج بارنت وجاكوز إيليل وأرماند ماتيلارت، ويوفر النظام الإعلامي الجديد إطارا عاما جديدا لدراسة الأنظمة الإعلامية.

أما نظرية الاستعمار الإليكتروني فإنها تعكس الكثير من الاهتمامات المعاصرة.

لقد نجحت بعض التيارات الأساسية في العالم وعلى مدار التاريخ في بناء الإمبراطوريات، ولذلك يميز بعضها بين عدد محدود من الإمبراطوريات ظهرت في

---

(١)عبد اللطيف حمزة، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧، ص ٨٥ ـ ٨٦.

فترات زمنية بعينها، فقد تميز العهد الأول من الإمبراطوريات بالسيطرة العسكرية واتضح ذلك في فترة الرومان الإغريق حيث توسعت الإمبراطورية الرومانية لتشمل ما يعرف أو ما يسمى اليوم أوربا وشمال أفريقيا وسميت هذه المرحلة بالاستعمار العسكري.

أما العهد الثاني فكان يمثله المقاتل المسيحي في الحملات الصليبية في القرون الوسطى والذي كان يهدف إلى السيطرة على الأراضي الممتدة من أوربا إلى الشرق الأوسط. وقد صودرت الأراضي من المسلمين عندما كان للحضارة الغربية القوة الدولية المسيطرة ويسمى هذا العهد بالاستعمار المسيحي (١).

وبدأ العهد الثالث من الإمبراطوريات في القرن السابع عشر وامتد إلى منتصف القرن العشرين وفي هذا العهد تم اختراع الآلات الميكانيكية وأطلق عليه الاستعمار التجاري حيث نشأت الثورة الصناعية وقامت في أوربا وازدادت حركة التجارة والبضائع واستطاعت دول أوربا فرنسا – بريطانيا – أسبانيا – بلجيكا – هولندا – إيطاليا ودول شمال أوربا بسط تأثيرها التجاري والسياسي على مختلف أنحاء العالم.

ولقد كان لاختراع آلة الطباعة على يد الألماني يوحنا جوتنبرج أحد العناصر الأساسية للاستعمار التجاري ففي منتصف القرن الخامس عشر قدم جوتنبرج مائتي نسخة من إنجيل جوتنبرج وعلى الرغم من سعره المرتفع إلا أنه نفذ بسرعة معلنا بداية عهد إعلامي جديد.

---

(١) توماس ماكفيل، الإعلام الدولي، النظريات الاتجاهات – الملكية، ترجمة حسني محمد وعبد الله الكندي، الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٣، ص ٣٦ – ٣٧.

ووضعت الحرب العالمية الأولى والثانية نهاية للاستعمار العسكري ومكنت الدول الصناعية في الغرب من التحكم في المؤسسات والمنظمات الدولية.

يهمنا في هذا المقام التغيرين المعنيين هنا فكانا ظهور التوعية الخاصة في الدول العربية إلى جانب التحول ناحية خدمات أو اقتصاد المعلومات في الغرب، وقد اعتمد اقتصاد المعلومات على وسائل الاتصال عن بعد وتكنولوجيا الكمبيوتر لنقل المعلومات. هذا الاتجاه الجديد كان يمثل تحديا للحدود الوطنية التقليدية والعوائق التكنولوجية التي تعوق الاتصال.

فالاستعمار الإليكتروني الآن حل محل الاستعمار العسكري والتجاري والديني وسوف يظل حتى تدخل البشرية في عهد استعمار جديد.

فمثلا عندما يشاهد الجمهور مسلسلا مثل باي روتش أو مسلسل دالس Dallas فإنهم يتعلمون أكثر عادات المجتمع الغربي وأنماط حياته.

نظرية النظام العالمي

World-System Theory (WST)

تتوفر في هذه النظرية المفاهيم والأفكار واللغة اللازمة لبناء الإعلام الدولي وقد طور هذه إيمانويل وولرستين (Immanuel Wallerstein)،(١) وترتبط هذه النظرية بنظرية الاستقلال(٢)، التي تتشابه مع المدرسة النقدية الإعلامية في طروحاتها وخطاباتها.

---

(١) Immanual, Wallerstein, The Modern World-system (New York Academic Press, 1979), pp. 484-497.

(٢) Ander Frank Capitalism and underdevelopment in Latin America (New York, Monthly Review Press, 1969), pp. 231-238.

وقد اعتمد بعض الباحثين نظرية النظام العالمي الجديد لدراسة مجالات محدودة فقد استخدمها توماس كلايتون في دراسة التربية المقارنة وجورج بارنت في دراسة الاتصال عن بعد.

وتشير نظرية النظام العالمي إلى أن التوسع الاقتصادي بدأ ينطلق من مجموعة صغيرة من الدول المركزية إلى الدول شبه الهامشية، تتفاوت في درجات التقدم الاقتصادي والسياسي والثقافي والإعلامي والتقني والرأسمالي والاجتماعي، وهكذا يخضع البناء العالمي المعاصر لمنطق الحتمية الاقتصادية حيث تتحكم قوى السوق وتحدد الرابح والخاسر سواء كانوا أفرادا أو شركات أو دولاً[1].

ويبدو أن العلاقات الاقتصادية التي تربط بين دول الفئات الثلاث من دول العالم غير متساوية حيث تسيطر الدول المركزية على الأطر الاقتصادية، وينتمي قطاع الدول المركزية الدول الغربية الصناعية الأساسية، أما الدول الهامشية وشبه الهامشية فإنها تتخذ مواقع تابعة أو ثانوية في تعاملها مع الدول المركزية، وتمارس الدول المركزية سيطرتها في تعاملها مع الدول الهامشية وشبه الهامشية.

بمعنى أن الدول المتقدمة توفر السلع والخدمات والأجهزة وتكنولوجيا البرامجيات ورأس المال والمعارف والبضائع الجاهزة إلى الدول الهامشية أو شبه الهامشية التي تعتبر دولٌ مستهلكة.

وأقرب مثال على ذلك أن هناك دول عربية ذات اقتصاد مرتفع وذات دخول مرتفعة بالنسبة للمواطنين إلا أنهم يستهلكون التكنولوجيا لكنهم لا ينتجوها

---

(١) مجموعات الدول التي يربطها اتحاد أو رابطة واحدة مثل دول الاتحاد الأوربي أو دول الأسبان أو دول الخليج العربي، وغيرها من المجموعات.

وأقرب مثال للتدليل على ذلك دول الخليج ذات الدخل المرتفع، إلا أنها لا تنتج التكنولوجيا الاتصالية الحديثة ولكنها تستوردها من الدول المتقدمة.

نظرية السلطة:

السلطة من أنظمة الحكم التي نتحدث عنها وهي التي تتمثل في الملك أو الخليفة أو الأمير أو الديكتاتور الذي لا يؤمن بالحرية وبالديمقراطية ولا يسمح للشعب أن يشاركه في الحكم بصورة أو بأخرى. وتستند هذه السلطة باعتبارها نظاما من أنظمة الحكم على فكرة الحق الإلهي المقدس وعلى الفكرة القائلة بأن الحاكم ظل الله وخليفته في الأرض.

معنى ذلك أن الحاكم المطلق هو وحده صاحب الحق في الهيمنة على أمور الأمة أو صاحب الحق في تصريف الأمور غير أن الحاكم المطلق في العصور السابقة كان يدرك مع ذلك أنه لا يستطيع أن ينفرد بهذه السلطة، فقد يفرض أموره له لا يعرف الصواب فيها من الخطأ، ومن ثم تظهر الحاجة إلى استشارة الحكماء أو العلماء أو صفوة الأمة وكان على هؤلاء أن يمدوه بالمشورة النافعة والآراء الراجحة متى طلب إليهم ذلك.

وذلك ما حدث في الدول الإسلامية كالدولة الأموية والدولة العباسية وذلك ما حدث بالضبط مع الدول الأوربية حينذاك هي الفكرة القائلة بأن الحقيقة لا تنبع من جمهور العامة ولكن تنبع من أذهان الخاصة وهؤلاء هم الحكماء والعلماء.

لذلك العمل الإعلامي اقتصر على جهتين في ذاته هما:

(أ) جهة الحاكم أو الفرد أو الملك المستبد.

(ب) جهة الصفوة من رجال الأمة وهم قليلون من حيث العدد ورأيهم ليس ملزم للحاكم نفسه ومن ثم كانت السلطة هي وحدها صاحبة الحق في

ممارسة الرقابة الفعلية على العمل الإعلامي في أوربا وهي وحدها صاحبة الحق في إعطاء التراخيص لمن يريد من الناس إصدار صحيفة أو نشرة وما إلى ذلك(١).

نظرية الحرية:

ظهرت هذه النظرية في المجتمع الأوربي نتيجة لتطورات فكرية ولأحداث سياسية واجتماعية، ومن أهم هذه الأحداث بطبيعة الحال نشوب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، وهي الثورة التي أعلنت حقوق الإنسان، ثم هي الثورة التي كان لها مفهوم اقتصادي ظهر في قولهم (دعه يعمل دعه يمر) ومعنى ذلك ترك الفرد حرا في مزاولة نشاطه الاقتصادي ونشاطه الفكري دون أي تدخل من جانب الدولة في هذا النشاط بأي شكل من الأشكال ذلك أن الدولة يجب أن تقصر وظائفها على أمور ثلاثة هي: (القضاء – والأمن في الداخل – والدفاع عن الوطن ضد الأعداء في الخارج).

والحق أن نظرية الحرية تقوم على الإيمان المطلق بالإنسان من حيث هو إنسان على حين أن نظرية السلطة تنظر إلى الإنسان على أنه جزء من المجتمع، وأن قيمته تنحصر في هذا المعنى، وبعبارة أخرى يرى مذهب الحرية أن سعادة الفرد هي الغاية من وجود المجتمع، وأما أنصار مذهب السلطة فيرون أن سعادة المجتمع هي الغاية من وجود الفرد والفرد في نظر الحريين أو القائلين بمذهب الحرية أسمى من الدولة.

---

(١)عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص ص ٩٥ ـ ٩٦.

ومن أجل ذلك أتاح مذهب الحرية أثمن الفرص من الناحية الاقتصادية لظهور الديمقراطيات الرأسمالية وظهور الاحتكارات بأوسع معانيها وفي ظل هذا النظام لتحقق العديد من الانتصارات الشعبية.

غير أن الصحافة في ظل نظام الحرية تطورت هي الأخرى إلى صناعة من أضخم الصناعات الحديثة واحتاجت إلى رؤوس الأموال، وأدى ذلك إلى تخليها عن قضايا الرأي والشعوب تدريجيا واتجاهها إلى تحقيق أكبر قدر من الربح المادي باعتبارها مشروعا تجاريا.

الخلاصة أن الصحافة في ظل هذه النظرية تمتعت بالحرية وأنها تكاد لا تعرف أي قيود عليها إلا قيد واحد وهو حق الحكومة في فرض الرقابة على الصحف زمن الحرب متى رأت المصلحة ذلك. ورأت الولايات المتحدة الأمريكية تطبيق هذا المبدأ أو الحق على أساس الاختيار لا الإجبار على الود والصداقة وحسن التفاهم بينها وبين أصحاب الصحف(١).

نظرية الاستعمالات وتلبية الحاجات (الاستخدامات والإشباعات):

النظريات السابقة تعترف بالنموذج الخطي الآتي:

المصدر--> الرسالة --> المتلقي --> التأثير

وتنظر هذه النظرية إلى الجمهور على أنه جمهور سلبي لا حول له ولا قوة أمام قوة الرسالة الإعلامية وتأثيرها الفعال حتى ظهر مفهوم للجمهور العنيد اعترافا بدوره النشط والفعال باعتباره يبحث عن الأشياء التي يريد أن يتعرض لها فيختار

(١) عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، مرجع سابق، ص ٩٧ ـ ٩٨.

عن طواعية وانتقائية ما يريد أن يتلقاه، وهو جمهور لا يستسلم تماما لوسائل الإعلام وإنما يقوم بالتغيير أو التمويل أو السيطرة كما يشاء.

وتأخذ نظرية الاستعمالات وتلبية الحاجات في الاعتبار الأول المتلقي كنقطة بدء بدلا من الرسالة وتشرح سلوكه الاتصالي فيما يتصل بتجربة الفرد المباشرة مع وسائل الإعلام لأن الأفراد يوظفون الرسائل بدلا من التصرف سلبيا حيالها (١).

وبصفة عامة فإن مدخل الاستخدامات والإشباعات يسعى إلى الإجابة عن من يتساؤل منهم يتعلق بأسباب اختيار الجمهور لمتابعة وسيلة اتصال معينة دون غيرها وكذلك اختيار الجمهور لمضمون إعلامي دون الآخر (٢).

باختصار تؤكد هذه النظرية فاعلية الجمهور المتلقي إذ أنه دائم التقرير لما يريد أن يأخذ من الإعلام بدل السماح للإعلام بتوجيه الوجهة التي يريدها، فالجمهور يعتمد على معلومات وسائل الإعلام ليلبي حاجاته ويحصل على ما يحتاج إليه وتصبح استعمالات الإنسان للإعلام المحك الرئيسي الذي يمكن أن يقاس بموجبه تأثير وسائله عليه.

ويعتبر التحدي الأكبر للمداخل المختلفة لنظرية الاستخدامات والإشباعات هو ربطها بالتأثيرات وإقامة الدليل على قيام العلاقة بين الاستخدام وتحقيق الرضا والإشباع (٣).

---

(١) عاطف عدلي العبد، مدخل إلى الاتصال والرأي العام، الأسس النظرية والإسهامات العربية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧، ص ١٩٨.

(٢) نائلة إبراهيم عمارة، دوافع استخدام المصريين المغتربين لوسائل الإعلام الوطنية والأجنبية والإشباعات المتخصصة، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد ٢٢، ١٩٩٨، ص٤٦٥.

(٣) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٤، ص٣٩٣.

وتطرح نظرية الاستخدامات والإشباعات مجموعة من الأفكار هي:

- أن الجمهور نشط وفعال ويختار من وسائل الإعلام ما يناسب احتياجاته ورغباته إذن استخدام المتلقي لوسائل الإعلام بمثابة استجابة منه للحاجة التي يستشعرها ويتوقع أن ينالها ويحصل عليها من وسيلة الإعلام.
- إن الجمهور المتلقي نفسه صاحب المبادرة في تقرير الوسائل والأساليب التي يتلقى بها الإعلام ما يتفق وحاجاته ورغباته.
- رغبات الجمهور عديدة ولا يلبي الإعلام إلا بعضا منها لأن الحاجات التي تخدمها وسائل الإعلام تشكل جزءا من نطاق أشمل من حاجات الإنسان لوجود بدائل أخرى لإشباع تلك الحاجات كاللعب والزيارات ولقاءات الجماعات الأولية والمجاملات الاجتماعية.

وتتركز هذه النظرية على أن الإعلام يقوم بتحقيق ثلاث تأثيرات من خلال اعتماد الناس عليه وهي:

أ - التأثيرات المعرفية.

ب - التأثيرات العاطفية.

ج - التأثيرات السلوكية.

وفي نهاية عرض هذه النظرية ماذا يريد الناس أو الجمهور من وسائل الإعلام وهذا ما وضحه "كاتز" حين قال أننا في الماضي نسأل ماذا تفعل وسائل الإعلام للناس بدلا من أن تقول ماذا يفعل الناس بوسائل الإعلام؟

ولذلك يجب أن تشير إلى أن الناس أو الجمهور هو الذي يختار المضامين الإعلامية التي يحتاجون إليها ولا يتركون أنفسهم أمام وسائل الإعلام يتلقون ما

تعرضه هذه الوسائل بل أصبح الجمهور لديه درجة عالية، من الوعي للنقد والاختيار والانتقاء بين مضامين وسائل الإعلام والإدلاء بالرأي تجاه هذه الوسائل ومضامينها أيضاً.

نظرية التعلم من خلال الملاحظة:

تشير هذه النظرية إلى أنه يمكن أن يتعلم الأفراد وسلوك الضعف من مراقبة أو مشاهدة برامج العنف والإثارة، فالأفراد يتعلمون سلوك العدوان والعنف من خلال مشاهدتهم للتليفزيون بتنميط سلوكهم حسب سلوك الشخصيات التي تعرضها برامج العنف وتنطبق هذه النظرية بشكل قوي على الأطفال الصار حيث يكون لبيئتهم تأثيرها إليهم على ما يتعلمونه وتزداد الخطورة حينما يكون التليفزيون بديلا عن الأبوين، لأن الأطفال يفهمون الأفلام والبرامج التليفزيونية بطريقة مختلفة عن عالم الكبار حيث لا يستطيعون في أحوال كثيرة استنتاج العلاقات بين المشاهد التي يرونها أو تريبها لتفسير المادة الدرامية مما يجعل تذكرهم للمضمون أشبه ما يكون بالشظايا فلا يتمكنون من بناء العلاقات بين برامج الكبار واستخلاص العبرة من المسلسلات(١).

وهذه النظرية ترتكز على أساس أن الإنسان لديه القدرة على اكتساب التمثيل الرمزي للوقائع الخارجية وملاحظة هذه الوقائع والنماذج تعتبر مصدر من مصادر التعلم(٢).

وذلك لأن عقل الطفل يسجل ما يشاهده ويختزنه سواء عن وعي أو بدون وعي منذ أن يبلغ الثلاثين شهرا ولا يخيف الطفل مقدار العنف الذي يعرضه التليفزيون

---

(١) عاطف عدلي العبد، مرجع سابق،
(٢) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

أو السينما ولا الخطورة البدنية التي يعقبها هذا العنف بقدر ما يخيفهم القالب الذي يحدث فيه العنف والطريقة التي يقدم بها على الشاشة، ولذلك أدخلت مسلسلات هتشكوك الرعب في ملايين الأطفال.

ويرى شرام وزملائه أنه إذا عرضت مشاهد العنف والقسوة والسلوك غير الطبيعي علنا على الجماهير ستكون سببا في إثارة الرغبة في السلوك العنيف عند الناس ولا يوجد شيء في وجود علاقة بين ازدياد جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الإجرامي والأعمال العنيفة.

وأكدت دراسة لباندورا حيث قدم مجموعة من التحليلات النفسية والاجتماعية التي أكدت اكتساب التصرفات الشرسة عن طريق الاحتكاك بالنماذج العنيفة من خلال وسائل الإعلام ولم يعد العنف مقصورا على الأفلام والمسلسلات إنما في الأخبار ونشرات الأخبار، ومما يؤكد ذلك عندما قدم التليفزيون بعض المشاهد من مظاهرات الطلبة في باريس في مايو عام ١٩٦٨ انتشرت عدوى العنف وشملت فرنسا كلها وسرعان ما انتقلت إلى أنحاء متفرقة من أوربا والولايات المتحدة أيضا، وفي المسلسلات التي تقدم فيها الصداقات بين الرجال والنساء ويقوم الاختلاط وتتم صور من الانحراف الأخلاقي، بل أصبحت هناك مطالبة خفية في بعض المجتمعات بأن تأخذ المرأة حظها من الفساد وذلك عن طريق مشاهدة الأفلام والمسلسلات الأجنبية وما يحدث فيها[1].

(١) مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون، ط١، القاهرة، دار الكلمة الطيبة، ١٤٠٧هـ ص١٨٠.

نظرية المسئولية الاجتماعية:

تدهورت نظري الحرية ما بين دعاة الحرية المطلقة ودعاة الحرية المقيدة، وكانت هذه مجرد مناقشات نظرية، وثبت أنه لا يمكن أن توجد حرية مطلقة ثم ارتفعت الأصوات بعد الحرب العالمية الثانية تحتج على ما وصلت إليه حالة أجهزة الإعلام في ظل هذه النظريات، وأدت هذه الحركة إلى تكوين كثير من اللجان للتحقيق في تلك البلدان وإيجاد علاج للوضع كله حتى يمكن لأجهزة الإعلام أن تؤدي دورها، وكان أن ظهرت نظرية المسئولية الاجتماعية لتحل محل نظرية الحرية.

ويرتبط أصحاب نظرية المسئولية الاجتماعية النظرية بمثل وقيم أخلاقية خالصة دون التعرض للقيم السياسية والاجتماعية الرأسمالية، ومع ذلك فإن هذه النظرية تواجه معارضة شديدة من جانب أجهزة الإعلام في الدول الغربية وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن وجدت هذه النظرية ثمرة في داخل إنجلترا فكان أن أنشء فيها مجلس أعلى للصحافة للمحافظة على مستوى أخلاقي معقول للمهنة(١). والأساس الذي تبنى عليه هذه النظرية هو أن (الحرية حق وواجب ونظام ومسئولية) في وقت واحد، وبعبارة أخرى أن الحرية حق وراءه واجب لابد أن يشعر به المستمتع بهذه الحرية ومعنى ذلك كما قلنا أن الحرية تحمل في طياتها تبعات كثيرة يجب أن تضطلع بها الصحيفة المسئولة أمام المجتمع عند القيام بالوظائف التالية(٢):

---

(١) محمود متولي، لطفي عبد القادر، الإعلام وحرية المجتمع في موكب التاريخ، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٧، ص ١٠٤.

(٢) عبد اللطيف حمزة، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، مرجع سابق، ص١٣٨.

١- خدمة النظام السياسي القائم وذلك عن طريق الإعلام وعن طريق المناقشة الحرة المفتوحة في جميع المسائل التي تهم المجتمع.

٢- تنوير الجمهور بالأرقام والحقائق تنويرا يجعل من اليسير عليه أن يحكم بنفسه حكما صحيحا على الأحداث العامة.

٣- صيانة مصالح الأفراد والجماعات والمحافظة على سمعة هؤلاء، وهؤلاء وذلك عن طريق المراقبة التامة لأعمال الحكومة وأعمال الشركات والهيئات.

٤- خدمة الحياة الاقتصادية عن طريق الإعلانات التي تتم كلا من البائع والمشتري على السواء.

٥- خدمة القراء عن طريق الترويح والتسلية، تخفيفا لأعباء الحياة على الناس وترويحا لنفوسهم.

٦- رعاية مصالح العامة وتفضيلها على المصالح الخاصة أو الحيلولة دون هذه الأخيرة حتى لا تضر بالصالح العام.

ويرى د/ عبد اللطيف حمزة في كتابه: الإعلام له تاريخه ومذاهبه، أن لنظرية المسئولية الاجتماعية حدود.

حدود هذه النظرية:

من الثابت إلى الآن أن هذه النظرية إنما نشأت أولا في أمريكا في أوائل القرن العشرين ونبعت هناك من كتابات وليم كينج وجون ملتون وغيرهم من أعضاء لجنة حرية الصحافة، وممن عملوا على وضع آداب لمهنة الصحافة أقرتها المؤتمرات العامة التي قامت تباعا في تلك البلاد رأت فيها خيرا كثيرا للمجتمع.

ومن المحقق أن الإنجليز نحوا هذا المنحى فإن يقفوا وراء نظرية المسئولية الاجتماعية حتى أصبح يطلق عليها اسم النظرية (الأنجلو أمريكية).

أما عن ملكية الصحف في ظل نظرية المسئولية الاجتماعية فإنها يمكن أن تكون ملكية خاصة إلى أن يظهر من الصحف ما يدل على أنها أخلت بالقانون أو المصلحة العامة، وهنا تظل الحكومة وتتصرف بما تراه إزاء هذه الصحيفة.

إن الميزة الرئيسية للصحافة التي من هذا النوع أنها ليست صحافة ذاتية بقدر ما هي صحافة موضوعية. أنها ليست ملكا خاصا للأفراد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، ولكنها ملك للصالح العام ممثلا في فرد أو هيئة أو نقابة أو شركة أو جماعة أو حكومة.

وسترى أن الصحافة المصرية تسير في هذه الأيام طبقا لنظرية المسئولية الاجتماعية ولكن فهمنا لهذه النظرية جاء مخالفا بعض الشيء لفهم الدول الأوربية والأمريكية.

وكذلك لئن كانت شعبية الراديو أمرا مسلما به فإن إحساس الراديو بالمسئولية ليس من هذه المسلمات فقد تعرض الراديو شأنه شأن غيره من وسائل الاتصال إلى سوء استخدام وانتقاد في بداياته الأولى الخلاقة الحيوية المشرقة وفي أيامه الذهبية التي شهدت زهوة ومترهله وغناه ثم في أيامه الصعبة القلق التي حاول فيها أن يكيف نفسه مع التليفزيون على حد تعبير المذيعين القديمين سليت وكوك.

ويختلف الراديو وكذلك التليفزيون عن سائر وسائل الاتصال في نقطة جوهرية هي أن كل إذاعة تخضع للتنظيم الحكومي من حيث أن الحكومة تصدر لمحطات الإذاعة والتليفزيون تراخيص وتشرف عليها، فالكونجرس يصدر تشريعات تنظيم

صناعة الإذاعة ولجنة المواصلات الاتحادية تضطلع بهذه المهمة بتكليف من الكونجرس.

وقد كانت هذه التنظيمات الاتحادية ضرورية وليس منها مفر لأن موجات الإذاعة (الهواء) وتحولت في العشرينات إلى حالة شغب صوتي لكثرة عدد المحطات التي نشأت في كل مكان وأخذت تذيع في كل اتجاه وفي جميع الاتجاهات وتداخلت الإذاعات حتى غرقت هذه في تلك وأصبح الأمر مرفوض وفوضوي فكان لا معدى من أن تتداخل الحكومة وتقسم موجات التردد (الأثير) بموجب قانون الإذاعات الصادرة في عام ١٩٢٧ وقبل الناس عامة حجة الحكومة في هذا الشأن وهما:

١- أن موجات أو قنوات الإذاعة هما ملك للناس جميعا.

٢- ومن هنا حق لكل شخص أن ينال خدمة إذاعية متساوية – في الإذاعة.

٣- من واجب الحكومة أن تضمن حقوق الجمهور المكتسبة في الإذاعة.

٤- ومن هنا تولت هيئة اتحادية تنظيمية هي لجنة المواصلات الاتحادية مهمة الاستيثاق من أن الإذاعة تؤدى على نحو (يخدم المصلحة العامة ويلائمها ويراعي ضرورياتها)[١].

وكذلك كل هذا نابع من نظرية المسئولية الاجتماعية لوسائل الاتصال أجمعها صحافة إذاعة تليفزيون لابد أن يشعر القائمين بالاتصال على هذه الأجهزة الاتصالية فإن تحقيق الصالح العام هو الخدمة الأسمى والأعم لهذه الوسائل في ظل تحقيق رغبات الجمهور وطموحاته تجاه هذه الوسائل مع مراعاة صالح المجتمع

(١) إدوارد واكين، مقدمة إلى وسائل الاتصال، ترجمة وديع فلسطين، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ٢٠٠٠، ص٩٨.

وليس صالح الفرد فقط ولكن يجب تقديم الصالح العام على صالح الفرد في ظل نظرية المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام والاتصال ومنهما يكن من شيء فإن نظرية المسئولية الاجتماعية في بعض الدول الغربية، كما تنشأ أن تحل جميع المشكلات التي نجمت عن الأخذ بنظرية الحرية، ومنها مشكلة الاحتكارات، كما عجزت عن حل المشكلة الكبيرة التي تتمثل في خضوع الصحافة والإذاعة لرأس المال، كما أنها عجزت عجزا تاما عن تقديم الحلول الصحيحة لمشكلة الحرب والسلام[1].

(١) د/ عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، مرجع سابق، ص ١٠٠.

obeikandl.com